مُؤتمر الحمْراء

الحَمْـدُ لِلَّـــهِ ! شَمْلُ المَغْـرِبِ التَحَمَـا
وَجُـرْحُ أبْنَـائِهِ بِـالـوَحْـدَةِ التَأمَـا
وَاللّـــهُ أكْبَـــر كَمْ تَأتِي لَطَـــائِفُـــهُ
عِنْـدَ الخُطُـوبِ فَيَجْلُو نُـورُهَـا الظُـلمَا !
مِنْ بَعْـــدِ لَيْلٍ مُخِيفٍ ضَـلَّ مَـرْكَبُنَـــا
بِـــهِ، وَطَـوَّحَـهُ الإعْصَـــار فَـــارْتَطَمَـا
وَبَعْـــدَمَـــا أصْبَحَـتْ آمَـــالُ أُمّتِنَـــا
فِي مَغْـــرِبٍ عَـــرَبِي وَاحِـــدٍ حُلُمَـــا
تَحَقّـقَ الأمَـلُ الغَـــــالِـي وَأمْكَـنَ أن
نَبْنِي وَنَـرْفَعَ صَـــرْحـاً يَبْهَـرُ الأُمَمَـا
وَأنْ نُـؤكّـدَّ لِلـدُّنْيَـا وَقَـدْ شَهِـدَتْ
عِنَـــاقَنَـــا وَرَأتْ أبْطَالَـــــنَا القِمَمَـــا
بِأنَّ مَغْـــرِبَنَـــا العِمْـــلاَقَ لَيْسَ لَـــهُ
أنْ يَـرْتَضِي العَيْشَ فِي أبْنَـائِهَا قَـزَمَـا !
مَـرَّتْ سِنُـونَ أضَعْنَاهَـا سُـدىً وَجَـرَتْ
دُمُـــوعُنَـا، وَهْيَ تَمْتَـصُّ الجُهُـود دَمَـا
وَكَـانَ أجْـدَىٰ عَلَى الأجْيَـالِ لَـوْ صُـرِفَتْ
لِخَيْـــرِهَـــا، وَكَفتهَـــا الـــدّمْعَ وَالألَمَـا

فَبِـــاسْمِ رَبِيَ مُجْـــرَاهَـــا إذَا انْطَلَقَتْ
وَبِـــاسْمِـهِ سَتُـــوَالِي سَيْـرَهَـــا قُـدُمَـــا
أيْـــدِي بَنِيهَـــا جَمِيعـــاً خَلْـفَ دَفتهَـــا
دَعَـــائِمـــاً لَمْ تَكُنْ يَـــوْمـــاً لِتَنْهَـــدِمَـــا
غَـــداً تُفَجـــرُ فِـي الأوْرَاسِ طَـــاقَتَهَـــا
وَفِي رُبَى أطْلَسِـــي تَـــزْهُـــو بِـــهِ نِعَمَـــا
وَيُخْصِبُ الـــزّرعُ وَالإنْسَـــانُ فِي وَطَنٍ
بِـــلاَ حُـــدُودٍ وَلاَ يَبْقَى هُنَـــاكَ حِمَى !
وَيَشْهَـــدُ الأطْلَسُ العِمْـــلاَقُ مَلْحَمَـــةَ
لأمَّـــةٍ حَبْلُهَـــا المَـوْصُـولُ مَـــا انفَصَمَـــا
مَشَتَ عَلَى الـــدّرْبِ أحْقَـابـاً يُـوَحِـــدُهَـــا
دِينٌ، وَمَـــاضٍ، وَخَصْمٌ فَـــوْقَهَـــا جَثَمَـــا
فَلَمْ تَـــــذِلَّ وَلَمْ تَخْضَـــع لِطَـــاغِيَـــةٍ
وَلاَ خَبَـــا أمَلٌ فِي رُوحِهَـــا اضطَـــرَمَـــا

* ● *

وَيَـــا أحبّـــايَ فِي الخَضْـــرَاء فَـــرْحَتُنَـــا
عِيـــدٌ، وَصَحْـــوَةُ حُبٍ طَـــاولَ القِـــدَمَـــا
وَفِي طَرَابُـــلُـــسَ أحْـــرَارٌ غَطَـــارِفَـــةٌ
صَـــانُـــوا عُـــرُوبَتَهُم، وَاسْتَلْهَمُـــوا القِيَمَـــا

وَمُـــورِيطَـانْيَـــا ثَـرىً لَـمْ يَخْلُ مِنْ عَبَقٍ
وَمِنْ تُـــرَاثٍ أصِيلٍ يَـــزْدَهِي شَمَمَـــا
زَهَتْ بِـأعْـــرَاسِهَـــا الحَمْـــرَاءُ وَاقْتَبَلَتْ
أحْبَـــابَهَـا بِقُلُـــوبٍ شَـوْقُهَـــا احْتَـدَمَـــا
فَلَيْسَ فِيهَـــا يَـــدٌ إلاّ احتَـوَت عَـــلَـــماً
وَلَيْسَ فِيهَـــــا فَمٌ إلاَّ شَـــــدَا نَغَمـــا !
وَيُسْعِفُ الـدّمْـعُ مُشْتَـاقـاً فَيَسْـــكُـبُهُ
مُعَبِـــراً عَنْ لِسَـــانٍ لَمْ يَجِـــدْ كَلِمَـــا
حَجّتْ إلَيْهَـــا وُفُـــودُ الشّعْبِ زَاحِفَـــةً
سَيْـلاً مِنَ الحُـبِ فِي أرْجَـائِهَـا عَـرِمَـا
حَجّتْ لِتَشْهَـــدَ مِيـــلاَداً لِمُعْجِـــزَةٍ
تَبْقَى مَـدَى الـدّهْـرِ فِي تَـارِيخَنَـا عَلَمَـا
كَأنَّنِـي بِـــابـن تَـــاشْفِيـنٍ يُبَـــارِكُهَـــا
وَقَـــدْ أضَـــاءَ المُحَيّـــا مِنْـــهُ وَابْتَسَمَـــا
كَأنَّ مُـــؤتَمَـــر الحَمْـــرَاء فَـــاتِحَـــةٌ
لِعَهْـــدِهِ الـــذّهَبِـيَ، بـــدْءٌ لِمَـــا اخْتَتَمَـــا
قَـــدْ غَـرّدَ الطّيْـــرُ فِي أفْنَـانِـــهِ طَـرَبـــاً
وَضَمَّـــخَ الـزّهْـرُ أرْجَـــاءَ الـدّنَى نَسَمَـا
رَأيْتُ حَـــوْلِـي حُشُـــوداً لاَحُـــدُودَ لَهَـــا
تَفُـــورُ حُبـــاً، وَتُبْـدِي بَعْضَ مَـــاكُتِمَـــا

وَلَـــوْ يُعَـــابُ جُنـــونٌ فِي مُـــوَاطَنَـــةٍ
لَقُلْتُ جُنُّـــوا ! وَأكْـــرِمْ مَنْ بِـــهِ اتِّهَماَ !

كَأنَّ أرْوَاحَ مَـنْ مَـــاتُـــوا قَـــدْ انبَعَثَت
فَـــلاَ تَكَـــادُ تَـــرَى الأقْـــدَامُ مُقْتَحَماَ

فِي بَعْضِ مَـا شَـاهَدَت عَيْنَـايَ مِنْ صُـورٍ
مَـــا يُـــنْطِقَ الْخرسَ أو يُنْسِيهمُ البَكماَ

فَيَـــا الْمِرّاكُشَ الَحمْـــرَا، وَقَـــدْ لَبِسَت
مِـنَ الـــــرّبِيع بُـــــرُوداً لَفَّـتِ الأكماَ

عَـــاشَـت ثَـــلاَثَـــةُ أيَّـــامٍ وَلَـــوْ سُئِلَت
عَنْ فُـرْصَـةِ العُمْر كَـانَتْ خَيرْ مَـا اغْتُنِماَ

* ● *

أمَـــامَنَـــا عَقَبَـــاتٌ سَـــوْفَ نَقْطَعُهَـــا
إذَا شَـــدَدنَـــا لَهَا فِي سَيرْنَـــا الْحزمَـــا

أمَـــامَنَـــا الَجهْلُ فِي دُنْيَـــا مُصَنَّعَـــةٍ
وَلاَ مَكَـــــــــــــانَ بَهِا إلاَّ لَمِنْ عَلِماَ !

أمَـــامَنَـــا الفَقْـــرُ فِي دُنْيَـــا نَجُـــوع بَهِا
وَيَشْتَكِي الغَـــرْبُ مِـنْ خَيرْاتِنَـــا التُّخَماَ !

أمَـــامَنَـــا مْحِنَـــةُ الإنْسَـــانِ فِي وَطَنٍ
تَـــدُوسُ صَهْيُـــونُ فِي أبْنَـــائِهِ الْحرَمَـــا

تَخْتَـالُ فِي كِبْـرِيَـاء لَيْسَ يَـرْدَعُهَـا
دِينٌ، وَلاَ خُلُـقٌ مَـا زَالَ مُنْعَـدِمَـا !
أمَـامَنَـا فِـي كُنُـوز الأرْضِ أرْصِـدَةٌ
تَصُـونُهَـا لِشُعُـوبٍ تَشْتَكِي العُـدُمَـا
وَلَمْ يَضِع أبَـداً جُهُـدٌ إذَا خَـلُصت
نيَـاتُ صَـاحِبِـهِ لِلَّـهِ وَالتَـزَمَـا !

* ● *

مَـرْحَى بِإخْـوَتِنَـا فِي أرْضِ إخْـوَتِهم
وَمَنْ تَـدَاعَـوا لِيُحْيُـوا العَهْـدَ وَالـرَّحِمَـا
هَـذِي الشُعُـوبُ التِـي أضْحَتْ بِهِمّتِكُم
شَعْبـاً وَقَلْبـاً سَلِيمـاً نَـابِضـاً وَفَمَـا
لَسَـوْفَ تُعْطِي سَخِيَّـاتٍ سَـوَاعِـدُهَـا
وَتَسْتَحِثُّ لِمَـا تَبْنُـونَـهُ الهِمَمَـا
سَتَحْمِلُ المِعْـوَلَ البنَّـاءَ كُلُ يَـدٍ
وَتَحْمِلُ السَّيْفَ والقِـرْطَـاسَ وَالقَلَمَـا
وَسَـوْفَ نُمْلِي عَلَى الـدُّنْيَـا فَتَسْمَعُنَـا
وَسَـوْفَ نُبْعِـدُ عَـنْ آذَانِهَـا الصَّمَمَـا
وَيَعْـرِفُ الغَـرْبُ أنَّ العُـرْبَ، مَـاخَضَعَتْ
لمستَبِـدٍ، وَلاَ كَـانَـت بَنُـوهُ دُمَى !

قَــدْ آنَ لِلْغَــرْبِ أنْ يَنْسَى مَــرَاضِعَــهُ
وَلاَ يَحِنّ لِضَــــرعٍ عَنْــــهُ قَــدْ فُطِمَــا
وَآن لِلشّــــــرْقِ أنْ يَبْنِي قَــــوَاعِــــدَهُ
عَلَى أسَــاسٍ وَيَنْسَى مَــابِــهِ وُصِمَــا
هَــذَا الــرّبِيعُ الــــذِي تَــاقَت لِبَهْجَتِــهِ
شُعُــوبُنَــا. وَسَقَى أوْطَــانَنَــا دِيمَــا !
قَــــرّتْ بِــــهِ كُلُ عَيْـنٍ بَعْــدَ غَيْبَتِــهِ
وَضَمَّــــــهُ كُلّ قَلْـبٍ يَشْتَكِي سَقَمَــــا
مَــوْلاَيَ يِهنِيـكَ مَــا حَقّقْتَ مِـن ظَفَــرٍ
لَــوْ أنّ غَيْــرك يَسْعَى نَحْــوَهُ هُــزِمَــا
أسْهَــرْتَ جَفْنَكَ وَالأجْفَــانُ هَــاجِعَــةٌ
لاَتَــرْتَجِي مَكْسَبــاً أوْ تَشْتَكِـي سَأمَــا
لَمْ يُغْنِكَ الجِــدُّ فِي مَسْعَــاكَ عَنْ قَــدَرٍ
وَمَــــــا رَمَيْـتَ وَلَكِـنّ الإلاَهَ رَمَــى !
قَــدْ كُنْتَ فَلْتَــةَ هَــذَا الــدّهْــر فِي زَمَنٍ
مَــازَالَ يَشْكُـو بَنُــوه الجـدْبَ وَالعُقُمَــا !
يَهْنِيكَ إخْــــوَتُـكَ الأحْــــرَارُ تَحْضُنهم
لِتَــرْفَعُـوا مَعَهُم فِـي مَجْـدِنَــا هَـرَمَــا
فَلَتَسْلَمُــوا وَعُيُــونُ اللّــهِ تَكْلَــؤُكُمُ
مَشَــاعِــلاً وَهُــدَاةً تَكْشِفُ الغُمَمَــا
وَعَــاشَ شبْــلاَكَ فِـي عِــزٍّ يَحُــفُّهُمَا
مَــا طَــافَ مُعْتَمِـرٌ بَــالْبَيْتِ وَاسْتَلَمَــا

---

*) بمناسبة معاهدة مراكش لقيام اتحاد المغرب العربي في 17 فبراير 1989.